من سيمفونية العشق

شعر

فوزى خضر

القاهرة

١٩٨٥

إهـــداء

إلى نجـــوى ...

الأمس .. اليـوم .. الحـــلم

الحـــركة الأولى

تصبح السماء حقائب الأطفال

على شفا البكاء كنت . . حينما مررت تحت قوس النصر مهزوماً . . وكان بين خطوتى و بينكم غــولُ المساء وانكسارُ قدمى .

يوما .

وكانت تصعد الأشجار نحــو القصر ، كان القصر فى الجبل البعيد ينام ، كانت غابة الأشجار تطرح فى المساء خناجرَ الموتِ ، السيوفَ . . وكان فى كفى ســؤال التاج عن طفل صغــير ، والعيونُ الخُضْرُ — يا أصحابىَ الغرباءَ — تنتظر انشقاق الليــل عن عرسٍ نربّيه ابتداءً من نمو الشوك فى الخد الرضيع إلى ثمــار الجــوع فى أيدى الصغار (يطاولون الحُبَّ فوق مقاعد الدرس ارتقاباً للغد المشوىِّ فى الرئتين ، يحتلبون من ضرع الليالى نجمــة

الشبقِ اللعوب . . فينزفون و ينزفون . . وأنت أمهم الكبيرة
والعيونُ الخضر) . . أنت الموعد المذبوح والصوت المحمل
بالهدايا فى صباح العيد ، ما أحلى صباح العيد . . ! ! آهٍ . .
لو يكفى حرف أغنيةٍ لكنتُ رميتُ للريح السؤالَ ، وكنت
أحمل سيفىَ البتار . . آه لو خيول الكون ترخ فى دمى !

يوماً

سأنزع من فم الغول الكبير حروفَ أغنيتى . . وأرمى
بالسؤال . . فغابة الأشجار تصعد بالسيوف على فمى .

يوماً

وأقطع — باليد — الصبّارَ فى الصبح البليد . . وأحمل
الخبز الجديد ، أجىء أكتشف المدينة والخدود الصُّفْرَ ، أنبئهم
بحقلٍ فى يديه العرس والثوبُ المضمَّخ — للعيون الخضر —
والبيتُ الصغيرُ . . وأنبىء النبْتَ الطرىَّ بموعد الثمر الشهىِّ . .

فتنبت الشمس الغريبةُ — فى الخلايا — لحن أغنيةٍ ، عصافيراً تهاجر فى سماء مواسمى . .

يوما

وتصبح ذى السماءُ حقائبَ الأطفال ، يغدون احتفاءً بالمدارس فى الصباح الغضّ ، يبتسمون ، تطرح فى عيونهم الكواكب ، يمرحون مع البناتِ الوردِ بين حدائق النبت الوَلُود . . ويعزفون اللحنَ للطير المعاود فى القلوب ويطرح القنديلُ قنديلاً على بيت العيون الخضر ، ياذات العيون الخضر نامى فوق صدرى . . واحلمى .

يوماً

وتنشقين أثوابا لأجساد العرايا ، تستوى عيناكِ فى كل العيون . . وتستوى رئتاكِ فى كل الرئات ، معانقًا — فى كل كفّ — كفَّكِ المعطاءَ أحلم فى صباح العيد بالعيد المعاود ، تحلم الرئتان باللون الجديد ، نوزّع الجسدين فى أجساد أطفال

المدينة .. ثم نضحك راضيين .. وأحتويك مدائننا — بالحب —

ترتقب الغد المحفور فى الجفنين . . ياذات العيون الخضر نامى

فوق صدرى . . واحلمى .

حديث خاص مع فوزى خضر

[مجلة الكاتب مايو ١٩٧٧]

باعوا وجهكَ باللون الباهتْ

و « البوريُّ » دعاك — وجندَكَ — للساحه

صال الجمعُ وجالا

لكن :

خانتك جنودُكَ ، خانتك جيادُكَ

أَوْقِفْ هذا الحزن الصاعدَ ..

والهم الهابطَ ..

والخَوَرَ القتّالَ

فالموت يجمِّع فى الساحة أشباحه

وعدوُّك يربط رجلك بالحبل الممتدِّ إلى سرج جواده

ويطوف ، يجزر تاريخك فى أرض الساحه

وحبيبتك النواح :

تقهقه مِلْءَ الثوب الفضفاض .

خانوكَ جميعا ..

ويجرنى فى الأرض جوادٌ مجنونٌ ، يدفعُ حجرٌ فى صدرى ، تلتهـم الأرض نياشينى ، تلتهـم ثيابَ الكتفين ، تعضُّ يدىَّ ، تصارعنى ، تلتهـم الكفين يجـررنى فى الأرض جـوادٌ مجنون ، تلكمـنى ، تنزع عنى ثوبىَ ، تذبح أُذْنَىَّ ، تشـير حبيبتىَ الخائنةُ إلى القـاتل أم للمقتولِ ؟ يجـررنى فى الأرض جوادٌ مجنونٌ ، تعلو أصواتُ الناس ، تدور بعينىَّ ملايين الأجساد ، تطنُّ بأُذُنَىَّ ملايين الأصـوات أتهتف للقاتل أم تهتف للمقتول ؟ يجررنى فى الأرض جوادٌ مجنونٌ ، تمتد يداىَ ، تقطِّع من جلدى أحجارٌ ، تنزع من كفَّىَّ أصابعىَ الممدودة ، تنزع لحمىَ ، يذبحنى نصل نتوءٍ صخرىٍّ ، يلكمنى

تجرٌ ، يفصل عن جسدى رأسى ، يعدو خلفى ، يشهق ،

تمتدُّ يداى ، أناديه :

(لا تبعد عن كفىَّ ، تعال إلى نحرى ، دونكَ

لا أصبح شيئاً ، لا أعرف شيئاً ، دونكَ أُقتل ،

أنتَ متاعى ، أوسمتى ، أنتَ . . .)

يجـرّرنى فى الأرض جـوادٌ مجنونٌ ، كانت تضحك ملءَ

الثوب الفضفاض ، يجـرّرنى فى الأرض جـوادٌ مجنونٌ ،

كانوا يشتعلون هتافا بملايين الأصوات ، يجرّرنى فى الأرض

جوادٌ مجنونٌ ، كنتُ ، يجرّرنى فى الأرض جوادٌ مجنونٌ ،

كانَ ، ــ يجررنى فى الأرض جوادٌ مجنونٌ .

أحمل فى رئتىَّ مصيرى

أحفظ أقوال العرافين :

(إن أدركتَ برمحكَ كعبَ الفارس :

تقتـــلهُ . .

وإذا أدرك رمحكَ :

سيجرّرك جوادٌ مجنونٌ)

حين انفضَّ الجَمْـعُ ..

حملتُ — على صدرى — رأسىَ .. ورحلتُ .

لأنك خنت الألوان

[الأقلام (العراق) سبتمبر ٧٧]

[صوت الخليج (الكويت) يناير ٧٨]

قوَّسني صمتُك

فنفضتُ المعطفَ عن كتفيَّ ، جريتُ .. جريتُ ،

ركبتُ جوادي وعدوتُ : ألوِّنُه بزعيقي .. ويلوِّنني بغبارِ

الدربِ .. وأدخل في مدنٍ أبعدَ من كل كلامِك .. حتى

عدت إلى صدر مدينتيَ الأولى .. ورجعتُ لعينيك ، نظرتُ

فلم ألمح وجهيَ بين وجوه العشاق المزدحمين بعينيك ال..

إل . . . . . .

آهٍ . . ما أضيق كل بحوركم المطروقةِ والمهملةِ !

[وكنتِ لي شجرةً تطرح لؤلؤًا ، جعلت من ضفيرتيكِ لي أرجوحةً

واختطفني المساءُ

تملصتُ منه . . ولكنني حينما عدت : لمَّا أجدْك

قضمتُ أظافري طويلًا

لكنَّ شعري تساقط دون جدوى

حاولتُ أن أكتشف الزوارقَ الملونة المسافرة في عينيكِ

لكن ملاحيها كانوا متشابهين

حاولتُ أن أجد لونًا يربط بين خطـوط وجهي وخطوط

وجوههم رأيتُ في المدائن البعيدة

أشياء غريبه

حدثتُ ناسَهَا : فلم يفهموا

وحينما حدثوني : سكتّ .

وجئتُ إليك

مرتديًا أغنيةً قديمة] :

مَـــدَّاحُ بالبـابْ ينسـاه الأحبـابْ

غنّـاكم أغنيـــةً عن حزن الأغرابْ

سألوكم خطاب من باس الأعتاب ؟

فهمستم فى هزءٍ : مـدّاحٌ بالبـاب

يقوسنى صمتُك المستبدُّ ،

يشدُّ عروقى إلى صورةٍ فى الجدار

فأسحب عينىَّ للرئتين

حذاؤك فى رئتىَّ

حذاؤك فى شفتىَّ

وأقضم نصفَ لسانى

وأدخل بين الخلايا أنقّب عنكِ ،

فأسقط من حافّةِ الشمس ،

كانت تطوّحنى — فى السماءِ — السماءُ . .

وكان يشدُّ يدىَّ البكاءُ . . وأهوى . . وأنت

تطلّين من شرفـة الشمس ، تبتسمين . .

وأهوى . . الزوارقُ كانت ملونةً والمدائنُ . .

حتى جوادىَ فارَقَ ، هل يستريح بمقبرةٍ —
فى الخلاءِ — الذى مات فى ليلة العُرْس ؟ هل
يستريحون — أبناؤك الشهداءُ — على مذبحِ
العيد قبل التماع السكاكين ، قبل تأرجحِ
أرؤسهم حول عرشكِ فى حفلكِ السنوىِّ ؟ ؟
وتلتف حولىَ أرجُوحتى . . وتطلّين كى تسأليني
الهوى ؟ أم حساب الليالى ؟؟ . . فأصرخ :
أين مضوا بجوادى ؟ ! !

... ...

مُعَلَّقٌ على جدارِ قصرك البعيد
« ياحبيبتى »
جِلْدُ جوادى
شَقَقْتُ مقلتىَّ : أخضراً وأصفراً وأحمراً و أزرقاً . .
وقدمتهما على يدى :
أزاهرٌ — او شئت — كانوا

أو عصافير تغنى

أو تداخلاتٍ فى خيوطِ ثوبِك الجديد

أو رغيفا

وقلتُ .. قلتُ : «كنتِ لى شجرة تطرح لؤلؤ

فأىُّ وجهٍ عاث فى أوراقِك الفضّيه ؟ ؟»

فقلتِ ما قلتِ عن الحكايةِ القديمه .

... ...

أخنتِ الذين أحبوكِ ؟ ؟

ماذا تقولين للأخضر ،

الأصفر ، الأحمر ،

الأزرق ؟ !

ابى .. جِلْدُ هذا الجوادِ المعلَّقُ – فى حائطِ القصرِ حرّكَ

أدامَهُ .. وبأسنانه يقضم الحَجَرَ المستبدَّ .. وحان الذى

نتُ أخشاه .. أين حذاؤكِ ؟ فى رئتى أم على ناهديكِ ؟

ن شفتى أم على مقلتيك ؟ ! ! (يحـرك أقدامَهُ) وأقلّب

بين بدىّ اللجام (يحرّك أقدامَهُ) وأسأل عينيكِ عن شفتيك

أسائل خديكِ .. أسأل عينيكِ عنكِ ..

وأسأل عنكِ ..

وأسأل عنكِ ..

وأسأل عنكِ ..

فأزعقُ فيهِ .. فيرمحُ ، يرمحُ — ريحًا — ألوّنه بزعيق ،

يلوّنني بالغبار ، ألونه أخضراً أصفراً أحمراً .. وأعود

ألونه أحمراً ، أصفراً ، أخضراً .. وألونه أزرقاً . وأطوّف

عبر البلاد ألوّنها وتلوّنني .. وأحب حدائقها .. أهرولُ

عبر الشوارع

— كانت إشاراتُها : أحمراً ، أصفراً ، أخضراً —

وتطير بها العرباتُ

(المجانين يستبقونَ) سمائى أزرق .. والبحر أزرقُ . والـ . .

(المجانينُ يستبقون) الإشاراتُ أحمرَ ، أحمرُ ، أحمرُ ..

كيف المجانين يستبقون ؟ جوادى . . المجانين يستبقون ، الإشارات

ماذا . . . ؟ (المجانين يستبقون) أهرْول فى الشارع الـ . . . .

هل كنتِ لى شجرةً تطرحُ لُؤْلُؤْ ؟؟ !

خيول الحلم تجرى فى الدوائر المتداخلة

[الشعر يوليو ٧٦]

أقطعُ ، بذراعِى الأيمن ، ساعدىَ الأيسر

أرفعه فى قبضتى اليمنى ..

وأشير به : لا .

غول يتمطّى فى دربى

ناباهُ عتيانْ

ناباهْ :

جيشانْ

وأنا : أقطع بذراعى الأيمن ساعدىَ الأيسر

أرفعه فى قبضتى اليمنى ..

وأشير به : لا .

يسقط قلبي ما بين النابين ، يُعَصَّرُ ، فَتَرْوَى الأنيابُ وتتفرّع ، تطرح أكبرُ أفرعها جمجمةً ، تطرح أصغرُ أفرعها أحجارا .

أركب أعلى خيلى ، أرحل — ما بين البلدان — الفارسَ والعاشقَ ، أسبق هدبَ الشمسِ ، فتلهث ، تجرى — معها — الأشجارُ و رائى ، أخطف بَدْءَ اليومِ ولا تلحقه قبلى كفٌّ ، تمتدُّ إلىّ أيادى الشمسِ .. وتمتـدُّ إلىّ أيادى الأشجار .. فاضحك فى وجه الريح .. وتطرح أكبر أفرعها جمجمة ، تطرح أصغر أفرعها أحجارا .

أدخل وسط غبار الجيشين المتحمين وسيفى فى قبضتىَ اليمنى ، أستنفر تاريخى : فتقوم فيالقُه ، تزحف .. وتحارب بالجرح المُتفرِّع كالطرقاتِ الجبليةِ ، أحفر إسمكِ فى السيف بظفرى ، يأسرنى الجيشَان فأثقب فى بواباتِ الليـــل

طريقاً .. وأجيء إليك وخيلي أُسِرتْ خلف البواباتِ السبع .. وخطوُكِ مأسورٌ .. واسمُكِ والسيفُ ... ولا تخشيْ .. سأعود الى طرقاتٍ أَرْجِـعُ فيها أعلى خيلي .. لا تخشيْ .. وجُهكِ مرسومٌ فى كفِى ، وجهكِ ينبت فى جفنيَّ .. وصوتى أعلى من صوتِ الظلمةِ ، صوتُكِ أعلى من أشباحِ الطرقاتِ المتفرِّعةِ المجنونةِ ، تطرح أكبر أفرعها جمجمة تطرح أصغر أفرعها أحجارا .

(فى لحظتِكِ المحبوبةِ : أنتِ الملكه ..

فدعيـنى أنظر فى عينيكِ .. ما أحلى

وجهى حين يُطلُّ — على وجهى — من

عينيكِ ! وما أعذب أن أرجوكِ وأن أعطيَكِ

وأن أرقصَ ، أرقص وأغنّى ! .. آهٍ ....

مـا أقسى أن أرحلَ عنك لأبحثَ فى البلدان

عن الطفلِ الضائع .. فالطفلُ الضائعُ — فى

الطرقاتِ — تداريه وجوه راكعةٌ ، تطرح
أكبر أفرعها جمجمةً ، تطرح أصغر أفرعها
أحجارا .

وأنا : كفى تطرح خمسة أقمارٍ تشرق فوق طريق باللغة
الغضبية ، تطرح أصغر أحرفها سيفاً ، تطرح أكبر أحرفها
لغةً : تنشقُّ عن الخيل الراكضةِ على لحم وجوهِ السادةِ ..
و يمزّق سنابكها التوصيات المخطوطة بطعام البؤساءِ . وتركض
فى وجه الريح ، تثير غبار الحقد على وجه الصمت .. وتسبق
هدب الشمس : فأسبق هدب الشمس : فتلهث ، تجرى
— معها — الأشجار .. وتمتد أياديها بالنار .. فأضحك فى
وجه الريح .. وتطرح أكبر أفرعها جمجمة ، تطرح أصغر
أفرعها أحجاراً .

آهٍ .. قلبي : لو لم يسقط ما بين النابين .. ولوْ ...
آهٍ .. لولم تَكْبُ الخيلُ .. ولوْ ...

آه .. قلبي ما بين النابين .. وأنت بنافذتك تنتظرين، تُمدِّينَ
شراب العُرْس .. وقلبي مـا بين النابين .. جبيني جمّـده
الغضبُ المقهورُ، وسيفي مأسورٌ .. والسنبك مكسورٌ في
الأرض .. وقلبي ما بين النابين .. ويجرى الصمت على
شفتيّ ، يدق طبول السقطة فى أذنيّ وقلبي ما بين النابين..
تُروّى الأنيابُ وتطرح أكبر أفرعها جمجمةً ، تطرح أصغر
أفرعها أحجارًا ترجمنى ..

أحجارًا ترجمنى ..

ترجمنى ...

آه .. ما أبعد سيفي — عن قبضتيَ — الليله !!

قلبي . . والفاكهة المنسية

[الكاتب ديسمبر ٧٦]

أنشقُّ على كفيكِ الدافئتينْ :

حقلينْ

حقلا أزرعه خبزاً ،

حقلاً أزرعه ترتيلاَ

وأجيء بتاريخي سيفينْ :

سيفاً ناريَّ الحَدِّ . .

وسيفاً مقتولاَ .

وجهي . .

كان قناديل على دربك ،

أطفأها الخوفُ — الرابضُ — قنديلاً . . قنديلاَ

وأبي أوصاني أن آتيك .. بيلا

وأنا : خنتُ وصاياه ،

فداريني عنه .. فهاهو عاد ليسألني عن وجه :

قتلته قطارات الليلِ المـاردِ ..

وخداعُ البـاعةِ ..

والرقْمُ الواقفُ مابين الحُبِّ وزيناتِ العُرْسِ .

أحلم بالفاكهة المنسيةِ ،

بالكلمات الغَضبيةِ ،

بالعينين الرائقتينْ

لكنكِ — يوم وجدتُكِ — كنتِ عجوزاً ،

كنت تمدين يديك الطيبتين — إلى الجُنْد — بحلوى

فتحسس أحدُهم الحوفَ .. ومد يديه إلى نهديك

وكُنتِ تقصين لهم عن (ولدٍ) ضاع

ووعدتُكِ أن أحكيَ — لكِ — عنه غدا

لكن غدا :

كان الخوفُ يمرُّ على دربكِ ،

يطفئنى : قنديلاً .. قنديلا

ويبيع لىَ الفاكهة المسلولةَ ..

ويسوّرنى بالأفواه المقفولة ..

ويعكّر عينىَّ الرائعتينْ

لكنى : ألمح بجذاه

وجهًا — فى جوفِ قطارٍ صيفىٍّ — يسألنى

ويذكّرنى بوصايا الغائب ..

ويذكّرنى بأغاريد العشقِ ..

ويزرع فى موسمىَ القادمِ قمحاً وحريرا ،

يرفع فى أرضى أشجارا خُضْراَ

ويعلّمنى الوقفة فى الريح ..

فأشعل — فى الليل — أناملىَ العشْراَ

وأغنّيك طويلاَ

وألون كلماتى بالفاكهة القادمة وبالغيث ..

وأنشقُّ على كفيك الدافئتين :

حقلينْ

حقلا أزرعه خبزاً ،

حقلا أزرعه ترتيلاَ

وأجىء بوجهى الأولْ ..

وتعودين — الفاكهة المحبوبة — وتغنِّين ..

فأحلو ...

وأُضاء — على دربكِ — قنديلاً .. قنديلاَ .

الحركة الثانية

الرحيل إلى وجهة مجهولة

تزوجتُ القطاراتِ القديمة فى الشتاءِ، خمشتُ وجه الصمتِ
أسأل جارىَ المذهول عما ليس يدريه ، احتملتُ الريحَ
تشربُ جلدىَ المشدودَ . . جئتُ وللحقيقةِ لحظةٌ من لحظتين
ورعشةٌ من رعشتين .

أتيتك والمساءُ يشدُّ ثوبى، ربما يندسُّ بين الخفقِ والخفقِ
ارتعاشٌ ، ربما سيمر طيفٌ طيبُ الخطوِ . ارتعشتُ مع
العظامِ وجئتُ أحمل كبوتى ، كانت تراقبنى الحقائبُ فوق
رفِّ قطارىَ الليلىِّ ، حاولتُ النعاسَ فأيقظتنى ، ساءلتنى عن
محطاتِ الرحيلِ وعن محطاتِ الوصولِ فقلتُ : قلبى كان
وجه محطة فغدا قطاراً ، كل يومٍ يستبد بىَ الحنينُ إلى الرجوع

.. وفى إشارات المحطات : التصاريحُ اللعينة بالمرور .. وآهٍ

.. يأتى وجهكِ المحبوبُ أغنية السماءِ ، تقولُ :

كل مسافرٍ سيؤوب يومًا

— فى إشاراتِ المحطاتِ : التصاريحُ اللعينةُ بالمرور . حقائبُ

الرفِّ الطويلِ تسائل العينين ، قلتُ : رأيتُ وجهاً فى بلاد

الله — ما أحلاه — كان . وتاه .. لكنى سألقاه ..

ارتعشتُ

على محطات الرحيل .. والحقيقة لحظة من لحظتين : تَلاَزُمُ

اللحظاتِ يدعو رعشةً من رعشتين ، أنا :

بأيهما أقامر ..

رعشةٌ من رعشتين .. ! .. صمتٌ ، ثرثرت الحقائبُ ..

غير أن حقيبةً ظلت

— كوجه محطةٍ فاتت هناك .. هناك ... —

صامتة، أنا : كفاىَ تعرفها . . وتعرف أنها
قد أرهقتها لعنة الترحالِ فى الخوفِ ، الحقائبُ — فوق رفِّ
قطارىَ الليلِّ — يغلبها النعاسُ ! ! . . حقيبتى — ياليلُ —
أمتعتى . ، أتيتُ بها فى عُشِّ زوجتىَ (القطاراتِ القديمةِ)
فى الشتاءِ . . همست فى أذنىْ حقيبتى الحزينةِ : إنهم غنوا
لنا فى الليل أغنية الحنين تقول :

كل مسافرٍ سيؤوب يوما

لم تصدِّقنى الحقيبة . . فاحتمات الريح تشرب جلدىَ المشدود،
شققت الرياحَ السودَ أغنيةُ الجنودِ تقول :

كل مسافرٍ سيؤوب يوما

مدت الأيدى إشاراتُ المحطة ، جئت ، كانت قبضة الليلِ
العنيدِ تشدُّ ثوبى فى محطتكِ الرحيبة ، كان وجهٌ فى بلاد الله
ينتظر القطار . . وكان يحمل لى رغيفا للعشاءِ ، طللتُ من
باب القطار . . فضَاءَ وجهُكِ

أنتِ أيامُ الطفولةِ ،

أنتِ رائحةُ الجوافةِ ،

أنتِ أسماءُ الصحاب بِوجهِك الأوَّابِ ،

أنت جزيرة الراحه .

أتيتُ ولم أَخُنْ شرفَ الطريق . .

فكيف سرتم بى — بجلد الشاة — للساحه ؟

أعود . . أعود أدخل فى القطار (فلن أقامر) . . إننى

— ليلاً — تزوجت القطاراتِ القديمة فى الشتاءِ غدوتُ

— فى جوف القطار — محطةً ، كانت إشاراتُ المحطاتِ :

التصاريح الكئيبةَ بالمـرورِ أو الوقوفِ . . حقيبتى كانت

تغنى لى أغانِى الراحلين . . تقول :

كل مسافر سيؤوب يوما ، صوتُها كان ارتعاشاً

تاه بين الثرثرات وضجة العجلاتْ . . .

فى عينيك تائبتان تنتظـران مـوعدىَ
البعيد . . وتلحظان الرعشةَ الورقاءَ بين
الجلدِ والثوبِ المُضَمَّخ فى انتظار العَوْدِ ،
كان لخـاتم العرس ابتسامٌ ضاع بـين
الرعشتين . .

ولحقيقة لحظةٌ من لحظتين . .

والحقيقة . .

لحظةٌ . .

من . .

لحظتين !

مذكرات جندى مستجد

[النصر ديسمبر ٧٥]

١ ــ خندق رقم ٣٦

أودُّ أن أجلس فى فمي ..

منكمشًا ، منتظرًا بدايةَ الحوار

يُقال لو فتحتُ .. لحظةً .. فمى :

تمتدُّ كفٌّ ، تسحب النبضةَ من عروق .

يقال : كنْ .

فأنزل الخندقَ أحفر التراب ..

ويزحف البكاءُ فى دمائى

فمن ترى يحمينى

ومن ترى يسقينى

حكايةً قديمةَ فى بيتنا الصغير ؟!

إذا أتى المساءُ ندخل الخيام ،

نلتفُّ فى غطائنا المؤرقِ

وفى السكون تلتقى :

ذكرى .. وأحلامٌ .. ونجوى صامته

وكان صاحبى البهيجُ حينما يغنّى :

نخلع الخوذاتْ

ونطلق الضحكاتْ

ونخلع الترابَ ..

حينما نخلع عن أقدامنا حذاءنا الكبيرا .

٢ – قطار رقم ٢٦

كالانطفاءِ فجأةً ..

وكانقطاع بسمةٍ آمله .

حملت مئزر الأمس ..

ورحتُ ، ياحبيبتى ، مسافرًا

ونمتُ واقفًا ..

وحينما صحوتُ :

كنت — كالجدار — أسمع الأوامرًا ،

مغمغمًا بلعنة وأغنيه .

.. ..

متى نعود ياقطار

أنام فى سريرىَ الصغير

أحلم — فى المواسم القديمه —

بنبتة تميمةٍ كلحظة المخاض

تطل .. حينما يغيبُ موعدُ الحصاد

فتفجأ العروق بالزفاف .

(حبيبتى .. أنا غريبٌ

حبيبتى .. كل صحابى غرباء .. وأنا :
معى خطابٌ لكِ ... من يرسلُه ؟!)

حبيتى ..
تسربتْ من عينَى السماءُ فى تلعثمِ البكاء
لكننى خطفتُ منها قَبَسَا
حين وقفنا حَرَسَا
نهتف .. والسلاح فى اليد ابتداءة ،
نشير للسماء .

حلم فى ليـــلة نازفة

[الثقافة العربية (ليبيا) سبتمبر ٧٦]

[الكلمة (الإسكندرية) سبتمبر ٧٦]

جيء إليك محمولاً

بلا ثوبٍ ولا رقبه

وها أنذا : على قلبي تنام يدى

رحلتُ به .. وكان الضحْك شرياني .

تُرابُ النيلِ فى شفتى

وفى كفى : بذور الموسمِ الآتى

وجبْتُ بحورَكِ السبعه

صعدتُ بصخرتى حتى وصلتُ لقمّةِ القمّه

ولحظتها : تمزق ساعدُ الجَلَدِ :

هوتْ .. فتناثرتْ إرباً ..

وأصبح كاهلى حُرّا

ولكنى :..

رجعتُ إليك محمولَا

بلا ثوبٍ ..

ولا رقبه .

... ...

ديرى مقلتيكِ إلىّ

جبينى ...

أتذكر مقلتاك مشاكسا يلتفُّ بالأحزان ، يستجدى مرورَ النبتِ ضجعةَ لحظةٍ قزحيةِ القسماتِ ، ينزف - حين ينزف - أصدقاءَ البدءِ فى أسواره البكماء .، كان يدور فى الأسماء يبحث عن حروفٍ ثرةٍ ، بريةِ الأشكال والألوان ، كان يريد مرَّ اللحظـةِ المقطوعةِ الأنفـاس ، كان يودُّ أن يرتاح عبر مشيبه

الملتفّ بالخطوات ، يخطف من سماء الحـروف نجمًا : كان آخر ما بكته الشمسُ ، نجماً كان آخر ما مضى !! ....
حمـل السلالَ وراح يجمع فى الصباح البرتقال .. فكيف يأتيه المساءُ يراه محطوماً تفتّتهَ الترُوسُ ؟ وكيف يغدو قطرةً — بالدَّمِّ — يسق الوردةَ البيضاءَ كى تحمـرَّ ؟ ثم يمـوتُ عصفوراً شهيدًا كى يراكِ بشرفةٍ عذرّيةٍ للشمس تبتسمين !
كيف نسيتِ عاشقكِ الذى قد عاد محولا .. بلا رقبه ؟ !
أيا أصحابُ .. رأسى كان فى المقهى
وكنتم حولَهُ — فى الليل — تستمعون
فمن منكم مضى فى آخر السهره ؟
ومن مازال يذكره ؟
خريطتُه :
تضاريسٌ شتائيَّه
بها وَعْدٌ بأن يلقـاكمو يوما ..

وفى أجفانه زهره .

... ...

وذات مساءْ :

رجعتُ إلى ظلامٍ حولَهُ الأسلاكُ شائكةٌ ،

مررت بعسكرٍ . .

ورميت سِرَّ الليلِ فانخفضتْ بنادقهُم

(أيا — أصحابُ . . رأسى كان فى المقهى

وكنتم حولَهُ — فى الليلِ — تستمعون

فمن منكم مضى فى آخر السهره ؟)

دخلتُ الخيمة السوداءْ

تحسستُ السرير ،

وجدتُ رأسىَ — فوقَهُ — سهرانَ ينتظرُ

وقال : حبيبتى فى مقلتيها واحةٌ سمحاءْ

وقال : صحابنا قَدَرُ !

وقلت : حبيبتى نسيتْ .

فقال : حبيبتى ... قَمَرٌ

وقال : صباحنا أَخْضَرْ .

فلملمتُ الغطاءَ ..

وبتُّ فيه مسافرًا للصبح ، منتظرًا

وساعتَهَــا ..

لصقتُ البسمةَ البلهــاء فى شفتىَّ .

(على قلبى تنام يدى

رحلتُ به ..

وكان الضِّحْكُ شريانى .. ،

كتاب النيل فى شفتى

وفى كفىّ :

بذُور الموسم الآتى ،

وجُبْتُ بحورَ السبعه)

وليلَتهَـا :

نسيتُ حذائىَ الملعونَ .

لم أخلعه عن قدمىّ .

سندريلا فى قصر السلطان

[الكلمة (اليمن) يناير ١٩٧٧]
[الكاتب فبراير ١٩٧٧]
[صوت الخليج (الكويت) أغسطس ١٩٧٧]

أشبحُ كفيَّ على بابك ..
— خبزى .. أو رأسى —
تنبتُ فى النارُ ..
وتنمو ، تتفرّع ، تورقُ ،
تطرحُ قنديلاً .. ،
أحمله فى صدرى ..
وأهدهده — لينامَ — فيصحو ، يقطع نحرى
فأظل — على بابك — مشبوحَ الكفين ، صراخًا :
خبزى .. أو رأسى !

كنتُ أجيءُ إليكِ صَبُوحًا، ملتفًا بالأقمارِ، أضُمُّكِ بين ضفاف
عباءتيَ الفضية .. وأغنّيكِ أغاريد العشاق .. وأُخْرِجُ من
بين أناملك خطاباتِ العشقِ .. وأُنْبِتُ فوق مخدتكِ الطيبةِ
زهورًا، أَصْعَدُ فى عينيكِ حبيبًا . وأسافر عبر عروقكِ :
كوكب عطر يترك عبر خلاياكِ (صباح الخير) ويطلق
فى رئتيكِ (صباح الخير) .. ويحمل فى دمكِ تميمتهُ
الأولى : بدءا للخطوةِ بين رياح الأشجان ... !
وها أنذا ـ منفيًّا .. أسأل عنكِ .. وأحمل فى رئتيّ حريقا،
أتصاعدُ أشجارا، تطرح ديدانا، تطرح أحجارًا .. وتقام
ـ على الدرب ـ تماثيل تشير إلى الهُوَّةِ .. أسأل عنكِ
وأدخل فى الليل فأُخْرُجُ ثوبا أَسْوَدَ ..
أسألُ عنكِ
وأدخل فى الصبح فأخرُجُ تمثالا من ملحٍ ..
أسأل عنكِ

وأنت تُعدِّينَ – لمن جاءوا – رأسى .. وتشقّين لهم كبدى
فوق صحافكِ ...، يقطع من يقطع، يمضغ من يمضغ ، يبلع
من يبلع .. ويقومون ؛ فيتجشأ كل منهم تاريخى ،
وأنا ...

أشبحُ كفّىَّ على بابكِ ، لا أطلب منكِ سوى : أن تُفتَحَ
نافذة الذكرى فى قصرك .. لكن الحَجَرَ المُلْقَ فى البحرِ :
جناحٌ ...

والخوفُ يلفُّ الخيط على جسدِ الصمتِ .. وأنت على شفة
الموعدِ تختارين رداءَ السهره .

فى هـذى الليلة يُفتَحُ بابُكِ ياحلوه
حين تُطلِّين ستنبتُ فى ثوبى أزهارُ
يخرج من عينىَّ جناحان ـ اليكِ ـ
وتطرح فى عينيكِ الأقمارُ
وتزُفُّ العودةَ أطيارٌ ـــ فى سبتمبر ـــ

ترجع بعد الهجره

وتعود الغيمات الحُبْلَى بالقمح و بالليمون.

: من أنتَ ؟ !

أجرى فى الشارع ، أشعر بالإسفلتِ

يدوس لسانى . .

وقطار يجرى — فى صدرى — يبحث

عن ثقبٍ كى يخرج منه . . وأجرى

ألمح أزواجك فى قصرِ الحاكم . . أجرى

وحذاءك — فى قصر السلطانِ — ينقّب

عن رِجلك ،

لا يعلم أنكِ . . أجرى

أسقطُ فى الوحلِ ،

أرى رأسىَ

— مُلْقًى —

يبحث عنى

أحمله .. ، يحملنى ..

ونسير .. وفى كفىَّ حصىً ،

أزرعهُ : كى يَنْبُتَ فى وجه الريح جداراً..

ونسير .

الناى ، الراعى ، القصر ، الباب ، الشارع ...

آهٍ ..

رأسى مثقوبٌ ،

ينزف تاريخى فى ليلة ظَمَئِى ..

آهٍ ...

رأسى : كان بصدركِ إبريقينِ ..

وكان بوجهكِ كأسى ..

آهِ . . لو كنتِ . . .

آهِ . . لو كنتِ . . .

لو . . كنتِ . . . !

أحلم ان المح القمر

المساجينُ يستيقظون ..

إذا الفجرُ — بين السحابِ — تَنَهّدَ . ،

يستيقظون : فيستيقظ الفجرُ ،

ينهرهم فى انفتاح الزنازنِ ،

يركلهم ..

فيجرُّون أجسادهم ،

يكنسون السماءَ ، يرشونها بالمياه .

(أنتظر المحاكمه

علىَّ أن أخوض فى مجادلاتهم

وأن أفوت فى أزقةِ المساومه

وحينما أنتصرُ ..

— وحينما تطرح لى [illegible] —

أقول : يا محبوبتى .. يا قمرُ ..

من أجلكِ المسيرةُ المداومه

من أجل عينيكِ الذراع والسلاح

والذى أدخرُه

وحينما أنكسر ..

أراكِ — فى — شجره

تطرح لى فروعُها المقاومه) .

يكنسون السماءَ ، يرشونها بالمياه

ثيابُ المساجين متّسخه

ضحكاتُ المساجين [illegible]

نظّفوا طرق الأمراء

[illegible] متعوهم

وفى عين كل سجين سماءٌ :

تَرَقَّبُ لحظةَ أن يولد العِتقُ ..

حتى تُحَرِّكَ — فيها — كوا كِبَها ..

فكواكبُهـا ..

جَمَّدتْهَا عيونُ الحَرَسْ ،

جَمَّدتْهَا النياشينُ توضع فوق صدور المرابين والمطربين جمدتها

البراكينُ بين صريرِ الضروس

— التى اقتَتَلَتْ —

تَنَحبِس

وأنا .. فى عيونى سمائى

أسيرُ بها .. وكواكبها فى الرياح مُعَلَّقَةٌ ،

لا يحركها غضبى ،

لا تحركها سقطتى ...

أيها البابُ : بينى وبين انفتاحكَ لى .. زمنٌ لا ينامُ

وبيني وبين انفتاحكَ للحرس المكفهرّ :

تَنَهُّدُ فجر جديد .

(ساءلني الرفيقُ عن حكايتي

فقلت : أشترى الصغارَ بالكبارِ ،

أشترى أغنية الحقيقه

فقال : ماذا سوف تُسْمِعُ القضاةَ ؟

قلتُ : أغنيةً .

الحارثين ..

الغارسين ..

الجائعين ..

أشترى

الصانعين ..

المتعبين ..

الجائعين ..

أشترى

وتشترون — أنتم المداهنين — المتخمين

لكننى أجىء بانتفاضةِ الحقيقه .. ،

لا أقبل المساومه ..

لا أقبل المساومه)

ربما عدتُ يومًا .. فأحكى لعينيكِ :

فى عينِ كلِّ سجينٍ سماءُ ..

وفوق الرؤوسِ سماءٌ تراقِبُ

— كالزمن اللهبِّ الذى لاينامُ —

يوسّخها الأمراءُ

ويكنسها فى الصباحِ المساجينُ . ،

أحلم أن أرتوى ..

واقّبل عينيكِ

وجهى يحملق فى سَقْفِ سجنى :

فأحلم أن ألمح القَمَرَا .

الحركة الثـالثة

تماشا

من كتاب العشق

[أمواج (الاسكندرية) أكتوبر ١٩٧٩]

حامـلُ الهــوى تَعِبُ   يستخفّــه الطــربُ
إن بــكى يحــقُّ له   ليس مابه لعبُ
كلمـا انقضى سببٌ   منكِ . . عاد لى سببُ

(أبو نواس)

تَقَطَّعَتْ ما بيننا الأسبابُ . إلا سَبَبَا

يشدُّنا فى لحظة النجوى فنأسى طَرَباَ

فقطِّعينى : سَبَباَ

وأوصلينى : سَبَباَ

أحببتُ فيكِ النارَ . .

والطوفانَ . .

والأحزانَ . .

والحربَ . .

وقلباً — فى الدجى — مرتقِباً . ،

أحببت ،

مَنْ يحبّ لايهتم :

مَنَ مِنَ الحبيبين

— إلى الغرامِ —

كان السَّببَاَ .

قَومي ، أعيديني إلىّ . .

بيننا عُمْرٌ من السجنِ ، من النّفْيِ . . وتَجمّعِ الأسلحه

و بيننا القلعةُ . .

والجدرانُ . .

والأبوابُ . .

والوالى . . وبَدْءُ المذبحه

فامتشق صوتى :

يُدَوّ الحزنُ والميلادُ بين الأضرحه . .

ويشهق الحُلمُ على باب زُوَيْله

ينعى الذى راحَ . .

ويدعو للذى طار من القلعةِ للأرض . .

فهل يأتى كما تأتيك فرسانُ ليالى ألف لَيْلَه ؟ ها أنذا :

قُومى ، أعيدينى إلىَّ . .

كلما أشرتِ : جئتُ . .

فاستعدتُ وجهىَ الفارسَ . .

هل تَذَكَّرِنْ ؟ !

جئتُكِ حينما أشرتِ لى ، على ظَهْر جوادى

— مِن جوادىَ الذى . .

طارَ من القلعةِ يومَ المذبحة —

جئت ، رفعتُ السيف فى وجه الأعادى

طالبا جيشًا كبيرا — لكِ — حاميا

وقلتُ : أنت يامليكَهَا عدوُّها .

ويومَهَا كنتِ تردّين جوادى . .

وتشدّين ثيابى :

(ليس هذا ياعرابى . .

ليس هذا ياعرابى)

فلماذا لم تقولى قبل أن آتى . .

لمــاذا ؟ ؟

ثم ناديتِ . . بجئتُ . .

(ياحمام البر سَقّف

طِير وهفهف

حُوم ورفرف

على كف الحُر وقْف . .

والقُطِ الغلّه)

واشتعلَتْ فى النارِ نارٌ . .

والوجوه — عبر ثورةِ الدماءِ — حَطَبُ

وطَلّ فارسٌ أتى من ألف لَيْلَه

يهتف : (لا يأْس مع الحياةِ)

والكلام يملأُ العروق . . وتدورُ الخُطَبُ

هيا . . تعالَىْ : سافرى معى . .

ليعرف الجميعُ أننى . .

أكتُبُ تاريخًا جديدًا لكِ . ،

فاشرأبّت السماء من عينيكِ ،

قلتِ : (أنتَ من أردتُ من هذى التواريخِ)

وأقسمت — بعمرى — لن تخونى

فلماذا قتلونى ؟ !

ثم ناديت ..

وناديت ..

جئتُ ..

(زورونى كل سنه مرّه

حرام تنسونى بالمرّه)

وقلتُ : لا تنسىْ ..

أنا كنتُ على بابِ زُوَيله

أنا الذى شققتُ كَبِدَ المذبحه

أنا الذى جعلت دقاتِ فؤادى :

دَقّةَ الكفّ على بابِ غرامِكْ

أنا الذى نَذَرتُ أوتارى :

لِصَقْلِ النارِ فى نَصْبِ حسامِكْ

فلا تخونى قلبَ الطِّفلَ ..

ليبقى فى حقولِ الليل شُعلَه

وانفردى فى الريحِ ..

للبحـرِ ..

وللنيـــلِ ..

وللناسِ غنائى كُلَّ ليْلَه

جئتكِ

فى الأوتارِ سيفى وجوادى ولسانى ..

فاهدرى ياثورةَ الأنغامِ ،

شُقِّى هذه الآذانَ ..

وامتدّى إلى القلعةِ ،

دوسى — بغتةً — عباءة الوالى ..

وشُدِّى طرْفَهَا منه ..

وشُدّى كُمّهُ ..

وامضى إلى السادةِ

وارمى القبعات ...

وارقصى فوق يد النادلِ

— فى المقهى —

وهُزّى الشاى فى الأكوابِ ،

هزّى هذه الهاماتِ .. ،

يكفيها انحناءُ النحرِ مشدوداً ،

عليه الطُّوبُ والأسْمَنْتُ ،

يكفيها ...

ومُرّى رعشةَ الأحلام فى ليلِ الجديله

جئت بعشقى و بأنغامى :

إلى أن أُشبِعتْ أُذْناك .. ،

فارتاحى ..

وضُمِّينى ..

ونادى — لى حبيبتى لتشعل الوَتَرْ

فأنت فى كلِّ طريق الك حيلةَ .

أعطيتك العمرَ .. فلا تبخل يداكِ (بحَليلَه)

وابتسمت عيناكِ ..،

ما اهتمتْ — بقلبى — نبضةٌ منك ..

ولا بوقفتى فى الريح ،

صائما ، مشقّقا أسًى

وحانت الساعةُ وانشق القَمَرْ

قـــولى ..

لمـاذا قد تركتِ القلب جَفْ ..

وتضمينَ فوق هذا الخدِّ كَفْ ..

وتُسكِتينَ فِىّ ؟

وتصرخين فى الدجى :

(ياسَيِّدَ النَّغَم ..

ياسيد النَّغم)

وتسكتين فىّ !!

قولى .. لماذا ؟ !

ثم ناديتِ ..

وناديتِ ..

وناديتِ ..

وكنت قد كرهتُ أن تعيدينى إلىّ ..

وامتطى العشقُ جوادَ الأَلَمَ .

وتهتُ من عينيكِ ..

لكنكِ ناديتِ ..

وناديتِ ..

وناديتِ ..

فقلتُ : ربما عدتُ إليك ساعةً .. فإننا

تَقَطَّعَتْ ما بيْننا الأسبابُ .. إلا سَبَبَا

يشُدُّنا فى لحظة النجوى .. فنأسى طَرَباً

فقطّعينى : سَبَبَا

وأوصلينى : سَبَبَا

أحببت فيكِ النـارَ ..

والطوفانَ ..

والأحزانَ ..

والحربَ ..

وقلبًا — فى الدجى — مرتقِبَاَ ..

أحبَبْتُ ، من يحبّ لاَيهتمّ :

مَنْ مِنَ الحبيبين

— إلى الغرامِ —

كان السَّبَبا

أحزان السيف المعطل

[الكاتب أبريل ٧٨]

[إلى ذلك الشيخ الذى ينام
ورأسه فى المحيط وقدماه فى الخليج]

أموتُ على فراشى . .

فاحمليني ياخيولَ الحُلْمِ ،

زُورِى بى مدائنَكِ البعيدةَ . .

واجعليني رعشةً فى الناهدين

وموعداً فى الساعدين

وَأَوْقِدِينى فى الشبابيكِ الحزينةِ ،

أطلقينى بين أطفالِ الحدائق

ـــ يضحكون . .

ويركلونَ كُراتِهِمْ —

فلتطلقيني بينهم كُرَةً . .

فإنّي في فراشي ،

— أَغْلَقَتْ بابي (لها مفتاحُه)

راحتْ لترقص تحت حلقةِ النيونِ . .

ودقّةُ الإيقاعِ تلعقُ جسَمَها

وأنا :

أموتُ على فراشي ،

أسْلِمِ الخدّينِ للصمتِ المقهقهِ ،

أدفعُ الأحزانَ بالكفّين . .

بالكفّين . .

بالكَفّيْنْ .

وسيقًا في فراشي أُغلِقُ العينَيْنِ

، حتى لا تسيلا ،

جسميَ المشدودُ ينتظرُ الكوابيسَ القديمةَ :

تُثلِم النصلَين فى الجَنْبَيْن

وسيفاً فى فراشى ،

ترحل الأحزان بى ،

لم يَبْقَ فى جسدى مكانٌ سالمٌ

من رميةٍ بالسهمِ

أو من طعنةٍ بالرمحِ

أو من ضربةٍ بالسيفِ

أو من موعدٍ للخيلِ والتدبير فى ساح الوغى ..

وانا الذى هاجمتُ فى النهرينِ ،

كانت فى انتظارى تستعد ..

سيوفُ جيشينِ – اشتعالاً –

كى تهاجم خلف نصلى ،

كان لى نصلان فى الجنبين

وسيفاً فى فراشى أستفيق

وكنتُ ممشوقاً ،

ربطتُ القصرَ فى قدمى . .

ونمتُ على فراشٍ من مواعيدَ

الى أن هبّتْ الريحُ العتيةُ . .

فانتفضتُ . . وقمتُ ألهبُ ألف عاصفةٍ

وغنّتْ فى الدروب بناتُنَا :

ضمّ الرجالُ سيوفَهم ،

شقوا الرياحَ . . فأنشدتْ (حطّينُ) . .

وابتسمتْ . . . وفرّتْ دمعةٌ من عينْ

وقبّلتِ الرجال . . وعانقتهم . . ،

وجهىَ الوضاءُ قائدُهم

يهبُّ : تهبّ آلافٌ تحاربُ خلفَ نصلى ،

كان لى نصلانِ فى الجَنْبَيْن .

وسيفاً فى فراشى أستفيقُ . .

وكنتُ عَذْباً شاخصاً . .

وقبائلُ النيرانِ تزحفُ ، تعبرُ الأنهارَ ،

تجعل من جسومِ الكُتْبِ جِسْراً للجيادِ ،

تلمُّ عبر سنابكِ الخيلِ الصحارى . ،

كنتُ عَذْباً شاخصا ،

لَوّحْتُ : فارتجَّ الهواءُ . .

وضاقت الصحراء ،

ماتتْ نارُهم . . .

وتفتحتْ عينُ الشبابيكِ الحزينةِ ، ضاءت الحجراتُ ،

زغردت النساءُ ، دَعَوْنَ لى . .

وهتَفْنَ — فى صبحٍ — لنصلِى ،

كان لى نصلانِ فى الجَنْبَيْنْ .

وسيفًا فى فراشٍ أغْمِضُ العَيْنَيْنْ

وأنتِ تراقصينَ الياقةَ البيضاءَ ،

أنت تراقصينَ البذْلَةَ السمراءَ ،

لا تدرينَ . .

أنتِ تراقصين الثوبَ وحدَكِ . . ،

أدفع الأحزانَ بالكفَّيْنِ . .

بالكفَّيْنِ . . بالكَفَّيْنِ .

أموتُ على فراشى . .

فاحمليني يا خيول الحُلمْ ،

لُفِّى بى مدائنَكِ البعيدةَ ،

عَلِّقِى فى رأسىَ الريشَ الملوَّنَ . .

واتركى الأطفالَ تَضْحَكْ . .

واتركيهم يقذفوا جنبيَّ بالأحجارِ ،

تخمش كفُّهم أنفى . . وتمْرَحُ . .

وانجلى منى فشبا كى حزينٌ . . .

ــ أَغْلَقتْ أبوابَنَا . .

ومَضَتْ تراقصُ ثوبَ مَنْ :

أَكَلُ ابتسامَ القادمينَ غداً .

ــ وبين تعجُّبِ الجدرانِ . . نشوانًا تمطىَّ واستباحَ . .

فارقصى والثوبَ . .

لم يعصمْكِ غيرى فى زمانِ النارِ والنقعِ المُثارِ . .

أتغلقين علىَّ بابى ؟ !

لن تفيقَ ،

لن تجيئى بين كفيكِ المفاتيحُ

سوى : إن هَبَّتْ الريحُ

فَهُبِّى يارياحَ النارِ . .

كى تدرى : السيوفُ أم الثيابُ . .

وأيقظى فيها البطولَة . .

واطردى أزواجَهَا المتجشّئين على الموائدِ . .

بعد أن باعوا أخاهم — فى الضحى — للبئرِ . .

هُبِّى يارياح النارِ ، تفتحْ بابَنَا ، ننقذْهُ . . أوْ :

تحقّقُ الرؤيا

فتُمْلأُ أرضُنَا موْتَى من الجَوْعَى العِطاشِ

ويحيا شيخُنَا والسُّم فى كَبِدِه

ويعمى شيخُنَا يبكى على وَلَدِه

أبقى عاطلاً . .

سيفاً ، أموتُ على فراشى .

اوقد الثمار فى سواعد الشجر

[إلى السيد حافظ]

سقطتُ منكِ مرتيْن :

مرةً والسيفُ فى أكفهم ..

ومرة والسيفُ فى كفى

كيف أقوم مرتيْن ؟

واليوم لا خمرٌ ولا أمرُ

كلاهما يفقد جنسيّتَهُ ،

كلاهما تَرَقُّبٌ مُشَوَّهٌ .. وذعرُ .

كنت أراهم خافقينَ تحت رايتى ..

وزاحفينَ خلف خطوتى ..

وحاملينَ ندمى

كنت أراهم فى الغرامِ وجهىَ الصبوحَ ،

فى البكاءِ ساعدى

وفى صمتِ الطريق قدمى

تجمَّعـــوا ..

وفى زمانِ الأمر ماطَلُوا .. ومرُّوا ؛

فقتلوا وجهى ..

وهتفوا : اليومَ خمرٌ .. وغداً خمرُ !

أشكو لكِ الذين فى أكفِّهم سيفى

فها أنا سقطتُ مرتينْ :

فمرة والسيفُ فى أكفهم ..

ومرةً والسيفُ فى كفِّى .. ،

أمدُّها إليكِ ..

لكنما تمتدُّ ما بينى و بينكِ الطريقُ ،

يمُرُّ بيننا زحامُ الحافلاتِ ..

و إشاراتُ المرورِ .. ،

بيننا الوجهُ الغريقُ

(نَهْرٌ من الأجسادِ فى الشارعِ ،

تطفو أَوْجُهُ النـاسِ عليه ...

وأنا : وجهى غريقُ)

يقُوم بيننا الزمان .. والزمانُ أَمَرُّ .

تركتُ كفّى — فى الطريقِ — وارتحلتُ ..

باحثًا عن مَهْرِكِ البعيدْ

: (أثأر لو غدوتِ لى ،

أثأَرُ لو يصْدُقنى المَهْرُ)

كفى التى تركْتُها — ممدودةً إليكِ — فى الطريق :

مازالتْ على الطريقِ تنتظرُ .. ،

تحمِلُـــنِى أمَلا

تلِدُنى شُعَلا :

فأُوقدُ الثمـارَ فى سواعِدِ الشَّجرِ

وأوقدُ الأعشابَ والمطرَا

وأزرعُ النارَ لكى تَنْبُتَ سيفًا

يسير ـــ تاركًا كفوفَ الناسِ ـــ

كى يجىءَ فى كفى

أبيضُ : كى يعرفنى ،

أسودُ : كى أقتلَ خوفى ..

وأخضرُ المَهْرَ البعيدَ .. ،

كان وجهى القتيلُ يتمنَّى :

أن يكون وجهُك الحبيبُ لى

وها أنا أنزعُ مهركِ البعيدَ مِنْ :

زحامِ الحافلاتِ

وإشاراتِ المرورِ .. ،

رافعًا وجهى إلى سطحِ الوجوه !

وجهى وليدٌ سامقٌ ،

يُوقَدُ : قنديلَا

يُطْفَأُ : قنديلَا

يوصدُ أو يفتحُ .. أو يرحلُ أو يمكثُ ..

يمطرُ أو يجدبُ .. أو يضحكُ أو يعبسُ ..

يعشقُ .. أو يصعدُ .. أو يهبطُ :

قنديلَا

كفِّى التى تركتُها — ممدودةً إليكِ — فى الطريق :

مازالتْ على الطريقِ تنتظرُ ،

أُوصِلُ كفى بيدى .. ،

أطوفُ بالبلادْ

— أحمِلُ تاريخى إلى الشهداءْ —

فتوصَلُ الأرؤسُ بالأجسادْ ،

تضىء فى الطريقْ

وأنت تحت إبطىَ ــ الحبيبة ــ الوجوهُ كلُّها تُضاء

يا حبيبتى قناديلاَ .

أَكُونُ ما شئتِ : رغيفًا .. أو ســـوارًا .. أورداءً ..

أو شذىً ،

أغوصُ لؤلؤًا ، أقومُ قبضةً ، أمتدُّ أرغولاَ

أحمل زهرةً .. وسيفاً

أعرف من عينيك : خمرَ الغدِ أو أمرَ الغدِ . ،

أعرف منهما الطريقَ ..

فاملئى ــ بوجهكِ الحبيبِ ــ ياحبيبتى ..

رئتى

وغرّدى فى شفتى ؛

أغْدُ عتيًا .. وجميلا

وأغنيكِ طويلاَ .

اسير بأغنيتى

تضيقُ علىَّ ضلوعِى

: هبينى مواعيدَكِ السندسيةَ .. وانتظرى موسمى

وسِيرِى معى — لوتشائينَ —

إنى أسافرُ فى الصَّحَرَاءِ أنقِّب عن زمزمى

يجوعُ بصدرىَ حقلٌ .. وتَظْمأ ساقيةٌ ..

ويصدأ عظمى .. ويشهق فى دمى

وبينى وبينَكِ حلمٌ ..

فلا تقطعيه ..

ولا تحزنى ..

واحلمى .

أغَرْبِلُ أيامىَ الماضيه

وأهفو لأيامِيَ الآتيه

تهب العواصفُ :

ينتفضُ الحُلمُ — قنطرةً — بين قلبي وقلبكِ ،

نعبرها من كِلَيْ جانبيها ..

فيجمعنا الحُلمُ فى المُنتصَفْ .

يدى فى يدكْ

وتحضنُ كفى كفُّك ، تورقُ فى موعِدكْ

نسيرُ .. ونقتسمُ الحُلْمَ كلَّ مساءٍ ..

ولكنَّ هذا المساءَ اختَلَفْ !

وهبَّتْ مواعيدُكِ اللاهبةُ ،

تحرق فيكِ زهور انتظاركِ ،

تفجرُ نظرتَك الغضبية ،

يورقُ فيكِ التياعُكِ غابًا . ،

تمدين كفَّكِ لى ،

يَسْقُطُ الحلمُ من بين أُنْمُلَتَينْ !

تضيقُ عليَّ ضلوعى

(لزمزمَ أسفارى . . وللرِّيِّ موعدُ

وللحقل ميقاتٌ يُبدِّلُه وَجْهَا

أسيرُ . . ولى فى كلِّ شِبرٍ حكايةٌ

ولى خطوةٌ تهفو — الى زمزمى — وَلْهَى

تمدّين كَفًّا للوداعِ . . فاننى

أمدُّ إليكِ الكَفَّ — يا رُفْقتى — كَرْها

أسيرُ بأغنيتى . .

أسير . . وتفقس بين ضلوعى عيونُ السنين

فتخرجُ أفراخُ دَمْعٍ ، تُنْقُرُ صدرى . .

وتلتقطُ النبضاتِ من القلبِ ،

تبلعها نبضةً نبضةً . . .

فأدفعُ خطوىَ فى الصَّحَراءِ ،

ألمُ الطريقَ ،

أقصِّرُها خطوةً خطوةً

أسيرُ بأغنيتي . .

وتضيقُ عليَّ ضلوعي .

أعيديني وجودا ومحالا

[الكاتب أغسطس ٧٧]

عانقيني يادروب العِشْقِ ،

شُدِّيني إلى صدركِ

كي أمسَح في نهديكِ خدِّي ..

وضميني غِلَالاَ

وانشريني فوق أكتافكِ شالا ،

أكتميني دمعةً ..

أو أطلقيني ضحكةً .. ،

قومي .. ولا قيني .. وغَنِّي ..

وارقصي لي رقصةَ الأمطارِ في عُرْسِ الحقولْ

أشرقي لي في الأفولْ

وأعيديني وجوداً ومحالا .

قادمٌ في موسمٍ لا تعرفينه

فجأة :

أنبُتُ في باب المدينه

فأغنّي في الميادين ، أنادي :

يا شَبابيكَ البيوتْ

ها أنا تحت أياديكِ أفوتْ

فاضحكي في وجهيَ النشوان ، ضمّيني . .

أنا طفلكِ ،

عدتُ — اليوم — مصقولاً كسيفٍ . .

ومليئا — كثمارِ الصيف — بالشَّذَى ،

أغنّي لليالي الغرباء .

فادخلي في موعدِ العشقِ إلى صدري . .

ففي صدري مدينه

وجهُهَا أبنيةٌ .. وميادينُ .. وناسٌ ..

وحلاتٌ ،

تضئ الواجهاتُ النور ألواناً وألوانا

بها يضحكُ فى البللورِ عطرٌ وفساتينُ ..

وفيها عرباتٌ ومصابيحُ ...

فيا محبوبتى .. هيا ادخلى فيها ..

ومُرّى فى الميادين ، انتقى ما تشتهينهْ

وادخلى عبر حواريها ، أطِلّى :

تجدى خبزاً عجوزا ..

وأغاريد ثكالى .. وكراسيًّا حزينه

غرِّدى فى وجهها : تَغْدُ على القهرِ عفيه

و إذا مارحتِ — فى التوّ — لأبوابِ المدينه :

تجدى مُهْراً فتيًّا .

.. ..

لكِ حزنى وهداياى ..

فما يمنحُ مُهْرُ غيرَ هذين ،

عليهِ عرَقٌ من سَفَرٍ مستعرٍ ،

أَنْبُتُ فى طُرُقاتِكِ — الشتويّة الأوجهِ — مُهْرًا :

من أسى الأسفارِ طالعْ

راكضاً عبر الشوارعْ

غَرِدًا ، تدرى الأماسىُّ شجونه

فخذى منى الذى جئتُ به . .

وامنحى كفّى مما تحملينه

واسندى رأسك . .

فالأكتافُ تدرى كيف تغدو

— فى زمانِ العِشقِ —

وردًا وجبالاَ

فامسحى عنى غبارَ السَّفَر

إننى ذقت عيون القمَر . .

وشربتُ القارَ ...

شُدِّيني إلى صدركِ كي أمسحَ في نهديكِ خديَّ وضميني فلالا

وانشريني فوق أكتافكِ شالا

أكتميني دمعة .. أو أطلقيني ضحكةً .. ،

قومي .. ولاقيني .. وغنّي ..

وارقصي لي رقصة الأمطارِ في عرسِ الحقولْ

أشرقي لي في الأفول ..

وأعيديني وجودًا ومحالاً .

الحركة الرابعـــة

أتغيَّر في الأرض

[إلى عبد العظيم درغام]

قَمَرٌ يترجّل فى ساحةِ الحُلمْ ،

دَقَّ على البابِ : لم ينفتحْ .

فمضى يتَمَلَّصُ فى الحافلاتِ ،

يهرولُ فى الطرقاتِ ..

ويجلسُ — منفرداً — فى المقاهى

يفكّرُ فى نجمةٍ ، خلف بابٍ : لدقتهِ ما انفَتَحْ

يتعلّمُ من واجهاتِ المتاجرِ ،

من وجهِ هذى المدينة ،

من قَلَواتِ الأحاديث

صمتاً جديداً ،

هو يمضى .. ولا يعلم الخَلْق من هو ،

يقرأُ كلَّ الوجوهِ .. ويقرأُ كلَّ الملابِس ،

يقرأُ صبْرَ صحافِ الطعامِ ..

ويقرأُ عرسَ الرغيفِ إذا انشطرَا

إنه قمرٌ : لم يعد قمَرَاً .

قمرٌ يتغيَّرُ فى الأرضِ ،

يصبح شخصاً جديداً

تُلوِّنُهُ الضحكاتُ يقطّعها الدمعُ ..

والصلواتُ المدانةُ ..

والظلمُ فى منبرِ العدلِ ..

والصمتُ فى اللحظةِ الحاسمه .

(تتدلى المصابيحُ ،

لكنها حين تهوِى إلى الأرضِ :

ليست تَظَلُّ مصابيحَ ،

تصبح شيئا جديدا)

وأنتِ على مقعدٍ خلف بابكِ جالسةٌ ناعمه

وأنا حين جئتُ .. ترجّلتُ فى ساحةِ الحُلمْ ،

كانت شبابيكُ كلِّ المنازلِ مفتوحةً ..

وعبرتُ — على مَهَلٍ — هذه الساحةَ المستديرةَ ..

واستوقفَ القلبَ بابٌ

دَقَقْتُ عليهِ :

فلم ينفتحْ .

فلماذا تنادين قلبى ليلاً

لينزلَ مشتعلًا أملاَ

و يدقّ على البابِ ، لا تفتحينه ؟

ولماذا تطلُّ الخيانةُ حين تطلُّ السكينه ؟ !

أتغيَّر فى الأرضِ ،

يصبح بينى و بين السماءِ مدًى

أتغير فى الأرض ،

يصبح — فى ساحةِ الحلم — خطوى سدى

أتغيَّر فى الأرضِ ،

أخرجُ من هذه الساحةِ المستديرةِ ،أدخلُ فى طرقاتِ المدينةِ ، تدهمنى . . وتعلّمنى ثرثرات الصباحِ ، تعلّمنى لغةَ الليلِ ، تمزجنى بالبَشَرْ .

فأقلِّدهم

أتغيَّر فى الأرضِ ،

أعرف كُلَّ الملابس ، أسعارَ كلِّ البضائعِ ،أسماء كلِّ المشاهيرِ ،

أعرف . . . لكننى حين أعشقُ : أدعو — حبيبا — لوجهِ القمرْ .

ويباغتنى صاحبٌ عائدٌ من أسى السنواتِ القديمةِ ،

يسألُ : كيف ؟

كيف تركتَ السماء ؟ وكيف ارتديتَ الملابسَ ؟ كيفَ ؟

فأعدو على الأرض، أخلع عنّى ثيابىَ ، أدخلُ فى جسدِ

الشجرِ المتطاولِ ، أخرجُ منــه ، أَغَمِّسُ وجهىَ فى المـاءِ ،

أركضُ

فوق الجبال .. ولكنَّ بينى و بين السماءِ مدىً

فأنقب عبر الشوارع مرتقباً ،

باحثًا عن سماءٍ فلا أستدلُّ

أظلُّ أنقّب عبر العيونِ ..

ودوماً أظلُّ .. أظلُّ ...

و بينى و بين السماءِ مدَىَ

البحث في المدن المهجورة

[روز اليوسف ١٠ سبتمبر ١٩٧٣]

لَمْلَمتُ شظايا وجهي . . من فوق أديم الشارعْ
وحملتُ الرأسَ على كتفيَّ . .
لأميِّز لونَ الشمسِ — الحَيْرَى — هذا العام .
رفرفت الأحلامُ الأولى ،
لم أقبِضْ إلا ذيل الأملِ الهاربِ من حضنى . .
يدهمنى جوعى . .
لكنْ . . ما كان على مائدتى
غيرُ سؤالٍ عن مائدةِ الغولْ .
يتراءى رأسى — فى وجهِ المائدةِ اللامع — ديكْ ،
تتسابقُ رائحةُ الديكِ و رائحةُ الجوعِ إلى رئتىّ

فأعودُ .. لألتهمَ الشارعَ بعد الشارعْ .

وأقابلهُ . . أحضنُه . . أتذكَّرْ . .

(تُرَاكِ يارفيقـــةَ الدجى تَذَكَّرِيْنْ ؟

هل تذكُرين أنني كنتُ ملاذكِ الوحيدا . .

وأنني خنتُ الأمانه ؟)

ألعنُه . . أجلدُه . . أنزع أجفانَهُ . .

أنطلقُ . . .

يجرى جسدى خلفى :

كَتِفٌ جانبَ رأسى . .

والكتفُ الآخرُ يلهثُ ،

يَتَعَثَّرُ خلفَ القدمينِ . .

وأُدْرِكُ مائدةَ الغولْ .

أبحث عن كفّىْ . .

لا أجد يدى ،

فيدٌ غاصتْ فى أرضِ الشارعِ منذ بلادٍ عدّه

والأخرى كانت تمشي مقتولا

حفناتِ عن [illegible] بلدٍ أنساه .

... ...

.. ... وقُبيلَ سقوطى فى حَلْقِ الغولْ

— ولأنى لا أملك كَفًّا —

هومتْ . .

ورفعتُ ضلوعى اليمنى

وأشرتُ . . أودّع رأسى الراحلَ

كى يبحثَ عن كَفّ

غاصتْ فى بطنِ الأرض

فى أحدِ شوارع . .

إحدى المدنِ الألف المهجوره .

جمجمتى : حقلا

(إن المعرفة هى القوة — بيكون)

وقلت له : ثيابىَ ليس تعرفنى

وأرحلُ فى بلادٍ :

شمُسها تصحو تقشّرنى . .

وتعصرنى على الإسفلت ،

تشربنى شوارعُها

وكنتُ أتيتُ ،

حقلى — فوق كِتفى —

كنتُ أحملُ طينَهُ الظمآنَ

من بلدٍ إلى بلدٍ إلى بلدٍ

وأخشى تصْدُقُ الرؤياَ .

وقلبي كان ساقيةً . .

ولكنْ — بغتةً — بُحّرَ الجفافُ ،

حملتُ حقلىَ وارتحلتُ لعلّنى أُلقى له رِيًّا

فهل تدرى مكانًا فيه ساقيةٌ هنا ؟

— فَدَعَا بخـــيرٍ لى . .

وشــدّ على يــدى . .

ومضى إلى غارٍ خفىٍّ ، يرتجى مطراً خفيًّا —

وطفلا كنتُ ،

أصرخُ فى فضاءِ الصمتِ ،

أرفسُ سُرّةَ الصحراءِ :

تطفرُ من مآقيها المياهُ ،

أَعُبُّ منها . .

والقوافلُ تحت شباكى تنيخُ . . وتسكنُ الأرجاءَ ،

أكبرُ ، أنتشى ، أحلو . .

وأرفع — فى الفضا — كفّىَّ مئذنتين ،

أرفع هامتى : حقلاً ربيعياً .

ويأتى موعد الرؤيا

يحين اليومُ ،

لكنْ : أسمع السكّينَ حين تُسَنُّ ،

أهربُ . . .

— يا أبى . . لا تَصْدُقُ الرؤيا . . ! !

هربت . .

و « وزمزمى » ضاعت . . وما مِن زمزمٍ أخرى

— ولو عدتُ : ارتضيتُ الذبحَ . .

والسكينَ حين تُسَنُّ فى أذُنى —

وها أنذا :

أسافر فى البلادِ بخوفى القتّالِ

من بلدٍ إلى بلدٍ إلى بلدٍ

ويشهق حقلىَ الظمآنُ ، لا ألقَى له رِيًّا

فأسكنُ فى منازل مُرَّةٍ ،

أتعلَّم السَّيْرَ المهرولَ . . والغسيلَ . .

أعلِّقُ الصُّوَرَ القبيحةَ فى الحوائطِ . .

أُغلِقُ الشُّبَّاك . .

أعرف كيف يكتئبُ الطبيخُ . .

وكيف تمتلىء الصحافُ أسىً ،

تُقطِّبُ — تحت سكِّينى — البطاطسُ . .

(كيف لم تهربْ ؟ ؟ !

لأنى لم أسِنَّ أمامها السكينَ . .

أم لمْ تعرف الرؤيا ؟ !)

ويدفعنى صراخُ الخوفِ من بلدٍ إلى بلدِ

ويبحثُ حقلىَ الظمآنُ . .

عن صَحرْاء تطفرُ من مآقيها المياهُ . . ،

تصدُّنى الخطواتُ ، أخرُج من بلادٍ

— شمُسَها تصحو تقشّرنى . .

وتعصرنى على الإسفلتِ ،

تشربنى شوارعُها —

لأدخلَ حجرتى . .

وأظلَّ منتظرًا وحيدًا ،

أرتجى مطرًا خفيًا

الخروج من البحر

أُخْرُجْ من الأحزانِ مبتدئًا بهذا الخوفِ ،
منتهيًا بإحراقِ السفائنِ فى المضيقِ ..
وأَيْقِظ النيرانَ ..
سوف تبارِكُ البلدانُ خطوكَ .. ،
هاهو التاريخُ يرقبُ فيكَ لفتةَ وجهِكَ الظمآنِ ،
يرقبُ رعشةَ الأجفانِ ،
يرقبُ صوتَك المتوهِّجَ الرنانَ . . .
فاخرجْ .. واحرقْ الشطآنَ ،
أَغْرِقْ فى البحارِ طريقَ عودتِكَ المريرةِ زاعقًا :
أين المفرُّ ؟ !
البحرُ خلفَ الكعبِ

والأزهارُ بعد النارِ

فاحرق أيها الظمآنُ منذ نعومةِ الميلادِ ،

أشعل كل أشرعة الأمانِ الزائف المحنيِّ ..

وازرع صاريَ الإصرارِ ..

علَّ الخائفَ النارى

يعبر هُوَّة الحرمانِ .. عَلِّ :

تطفيءُ النيرانُ لى ظمئى

وألقى درب مبتدئى

فبعضُ الخطو لا تحييه إلا النارُ ..

والبلدانُ ساهمةٌ مقاهيها ..

وصامتةٌ حواريها ..

ومعتمةٌ متاجرها ...

تراقبُ وجهَكَ الظمآنَ .. فابدأ ثائرًا ،
لا تَنْسَ ما فعلتْ بك المدنُ الخئونُ ..
فإنها غَدَرَتْ بأحلام الحدائقِ فى ضلوعكَ ..
والدعاءِ الغضِّ فى هذى الشفاه .
[يطلُّ علىَّ وجهُكِ
من نوافذِ قلبى الزاهى يغنى لى ..
يغنِّى لى : فيمْنيِنى
وينشدُ لى : فيدفعنى ... وأصمتُ ..
بيننا ساعاتُ هذا اليومِ تبعدنا وتدنينا]
تغلغلت التواريخُ البعيدةُ فى أسى جسدى
(فوا كبدى إذا أُضحِى
وإن أُمْسِ : فوا كبدا)
— فقمْ فى لحظة الميلادِ مشتعلاً بلا كبدٍ
وقُمْ .. واخرجْ من الأحزان ، مبتدئًا

بإحراقِ السفائنِ في المضيق ..
(تَظَلُّ منحنيًا بقاعِ الحزنِ : إن لم تشعل النيرانَ)
فاحرقْها ..
فإنك تشترى سُفُنًا إذا ماعدتَ منتصرًا
تُقِلُّك للمدائن سيّدًا
سترى المتاجرَ
— بعد أن كانت تذيقك رَكْلَهَا —
تحنو عليك .. ، تمدُّ ، ناعمةً ، يدا
وتهبُّ واقفة ميادينُ المدينةِ حينما تأتى ..
تُجَمِّلُ وجهَهَا — وَقْفًا عَليكَ —
وترتدى أغلى الثيابِ ،
ترُشُّ حُلْوَ الوردِ في أعتابها
فاحرق ضياع الأمسِ : تمتلك الغدا .
[مَرَايَاى الثمينةُ طاقتان ..

— بوجهك الأبدىّ — لامعتان

مُلكى : فى عيونى حينما أرنو إليك ..

فكيف أترك ملكىَ الزاهى

وهاهو طَلَّ عُرْساً من نوافذ قلبىَ الزاهى

يغنى لى ؟ !

يغنى لى : فيثنينى

ويُنْشِدُ لى : فيد فعنى]

واصْمُتُ ..

بيننا ساعاتُ هذا اليومِ تبعدنا وتدنينا ..

ووجهك لاعِبٌ بالقلبِ ..

يثنينى .. و يدفعنى

و يثنينى .. ويدفعنى

و يثنينى .. ويدفعنى

و يثنينى .. و يدفعنى

و يث ...

يُنَبِّئُنى بالنقيضين حُلْمى

فأسقطُ بين اشتعالِ العروقِ ..

و بين الذراعِ الصدىء

فكلُّ النهورِ — التى فوقَ لوحاتِنَا — لا تفيضُ

ونحن :

تراقبنا فى الصباحِ مقاعِدُنَا ..

وتراقبنا فى المساءِ مقاعِدُنَا .

أننتظرُ الطرقاتِ — التى لا تخونُ — تجىء لنا ..

أم نهبُّ إليها ؟

: أحبكِ ..

قلبى عليكِ

وقلبي عليّ !

أجيئكِ .. مبتدئا بالسماء

أجيئكِ .. حزنيَ أطولُ منّي وأعرضُ منّي

ولكنه ليس يقوى عليّ .

أجيئكِ .. حين يعزُّ المجيءْ

أجيءْ ..

بوجهٍ عتيقٍ وقلب دفيءْ

لأدفعَ هذا الزمان البطيء ،

أدحرجَهُ في الطريق أمامي

وأركلَهُ في مساءِ المجيء .. اخرجي الآن ..

سرُّكِ موعدُه حانَ ..

شُقّي جلودَ الغصونِ ، اخرجي ،

بعصاكِ المَسِي جَبَهاتِ الأراضي ، اجمعي

بين كفّيكِ كلَّ النجومِ ، انثريها

لتأخذَ شكلاً جديدًا ...

ألا إنه البَدْءُ :

يشتعلُ الصمتُ فيه .. ويحترقُ الخوفُ ،

تنفتحُ الطرقاتُ العصيةُ ...

كونى حديثَ المصابيح ..

— يجعلُ صمتَ الظلامِ الأصمِّ

بيوتاً ، ميادينَ ، ناساً —

أَطِلِّي علىَّ ،

ستنبجسُ الخطواتُ انبجاسًا ..

وتعدو على الطرقاتِ .

وكونى برعشةِ هذى القناديلِ هَمْسًا ..

وثرثرةً فى حروفِ النيونِ

سأسمعُ عبر أحاديثِك المورقاتِ :

تفتق جلد البذور

لتخرج منه الجذور

سأسمعُ صوتَ تفتّح أوراقِ كلّ الزهورِ ،

سأسمعُ صوتَ تمطّى جلود الثمارِ .. ،

سأعرفُ ماليس يعرفهُ أحدٌ ..

فأطيلى علىّ حديثَك ،

ها أنذا صاعدٌ فى النخيل

وها أنذا هابطٌ فى الينابيع ،

أصعدُ تمرًا ..

وأهبطُ رقرقةً ..

وأجيئك عِرْقًا من النار فى الصّخرِ ،

نهرًا من الطيرِ ،

أغنيةً فى الزمانِ الردىءْ .

أجيئك مقتحمًا قلعةَ الغد ،

فى قبضتى شعلةُ الأبديةِ ،

أحملُ فى مقلتىَّ أوارىَ ،

أحملُ فى شفتىَّ جحيمَ انتظارى

أقدم — ليلًا — إليك رغيفَ السماءِ وكوبَ السحابِ ..

بمائدةِ للعشاءِ المقدسِ ..

(إنَّا نقطِّع من جُثَّةِ الحُلْم — كلَّ مساءٍ — عشاءً ..

فماذا سنفعلُ لو نَفَدَتْ ؟ !

أيقظى الصلواتِ بقلبى .. وكونى وُضُوئى

وكونى — إذا جَثَم الليلُ — صَدْرَ الهدوءِ

وكونى لهيبى ..

لأغسلَ عقمَ المساءِ الصدىءِ

فيأتلق الحلمُ ، يُصْقَلُ ، يصبح :

فى المَوْجِ سُفُنًا ..

وفى الريحِ مأوىً ..

وفى الليل بدرًا – رغيفًا . .

وفى الصمتِ حرفًا . .

وفى الصبح قُبله

ويصبح – كلّ مسًا – ألفَ ليله

وطفلاً . . ندلله فى مساءِ المجىءْ .

الفهرس

- فوزي خضر
- عضو اتحاد الكتاب
- حصل على الجائزة الأولى على الإسكندرية أعوام ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٩٧٨ .
- حصل على الجائزة الثانية على جمهورية مصر العربية سنة ١٩٧٤ .
- صدر له ديوان (أغنية لسيناء) مشترك عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ .
- نشر قصائده فى المجلات المصرية والعربية .
- صدر له ديوان (الترحال فى زمن الغربة) عن المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٨٤ .

صـــدر من السلسلة

رئيس التحرير

مديحه عامر

● فى أعدادنا القادمة

بينى و بين البحر ... شعر عبد المنعم عواد يوسف

سهر الليالى ... الطويلة ... قصص د . مرعى مدكور

و يضيع البحر ... شعر أحمد فضل شبلول

رئيس التحرير

مديحة عامر



مطبعة دار الكتب ٥٥٤٦/ ١٩٨٤ / ٣٣٠٠

رقم الإيداع بدار الكتب ٧١٤٢ / ١٩٨٤
الترقيم الدولى ISBN 977 - 01 - 0521 - x